الفلسفة ثانية باك

مفهوم الواجب (المحور الأول : الواجب والإكراه)

الأستاذ : حسن شدادي

الفهرس

I- الإشكالية
II- الموقف الفلسفي 1 : إيمانويل كانط
2-1/ النص الفلسفي
2-2/ الأسئلة
2-3/ التصور الفلسفي
III- الموقف الفلسفي 2 : جون ماري غويو
3-1/ النص الفلسفي
3-2/ الأسئلة
3-3/ التصور الفلسفي
IV- الموقف الفلسفي 3 : إميل دوركهايم
4-1/ النص الفلسفي
4-2/ الأسئلة
4-3/ التصور الفلسفي
V- تركيب

I- الإشكالية

يدل الواجب على معنى الالتزام بما يفرضه الإنسان على نفسه لا على ما يتحتم عليه القيام به، وهكذا نجد أن الواجب يقترن بالحرية والإرادة لا بالإكراه والضرورة، غير أن عددا كبيرا من الواجبات تكون قهرية، تفرض نفسها على الفرد، بحيث تبدو ضرورة يتحتم الخضوع لها.

وهكذا يطرح أمامنا إشكال فلسفي مرتبط بمفهوم وقضية الواجب، وهو إن كان الواجب التزام حر أم أنه إلزام وإكراه، ويمكن صياغة الإشكال من خلال التساؤلات والإشكالات الفلسفية التالية :

- هل الواجب فعل حر أم أن قبوله لا يتم سوى تحت الإكراه ؟
- بمعنى آخر هل الواجب إلزام نُلزم أم أنه التزام نلتزم به ؟
- وهل ما يحدد الواجب هو العقل وما يرتبط به من إرادة حرة ومستقلة، أم هو المجتمع الذي يحيل إلى التصورات والأحكام والعادات ؟

II- الموقف الفلسفي 1 : إيمانويل كانط

2-1/ النص الفلسفي

الواجب إكراه حر

إن وعي الإرادة بخضوعها الحر للقانون، والمصحوب مع ذلك بالقهر الذي لا يمكن تجنبه، والممارس على كل الميولات[1] ، بواسطة عقلنا الخاص[2]، هذا الوعي إذن هو احترام القانون. فالقانون الذي يفرض نفسه، وفي الوقت ذاته، يلهم هذا الاحترام، ليس إلا القانون الأخلاقي لأنه لا قانون غيره يقصي التأثير المباشر للميولات على الإرادة.

وما الفعل، حسب هذا القانون -باستثناء كل مبدأ تحديد مستخلص من الميل- هو فعل، من الناحية الموضوعية، عملي ويسمى واجبا. والواجب، بسبب إقصاء الميولات يتضمن في مفهومه إكراها عمليا، أي تحديدا لبعض الأفعال مهما كان طابعها الإرادي ضعيفا.

إن الإحساس الناتج عن الوعي بهذا الإكراه، ليس مَرَضِياً، أي مثل الإحساس الذي يمكن أن ينتج عن موضوع حسي، وإنما هو إحساس لا يتضمن في ذاته، باعتباره خضوعا للقانون بوصفه قيادة (أي قهرا للذات المتأثرة بشكل حسي) أية لذة، بل باعتباره كذلك، فإنه يتضمن بالأحرى ألما (...)

يطالب الواجب إذن، وبشكل موضوعي، بفعل مطابق للقانون، لكن، وبشكل ذاتي، يطالب بمبدأ الفعل واحترام هذا القانون باعتباره النمط الوحيد المحدد للإرادة.

وانطلاقا من ذلك، يتأسس الفرق الحقيقي بين وعي بفعل مطابق للواجب وفعل تم تحت تأثير الواجب، أي بواسطة احترام القانون (...)

ومن الأهمية البالغة، أن نفحص، بدقة متناهية، داخل كل الأحكام الأخلاقية، عن المبدأ الذاتي لكل المبادئ، حتى يتسنى لنا وضع الأفعال الأخلاقية طبقا لمبدإ ضرورة التصرف حسب الواجب واحترام القانون، وليس فقط نتيجة حب أو ميل لما سيترتب من نتائج عن هذه الأفعال.

إننا لنجد، بالنسبة للإنسان، وكل الكائنات العاقلة، أن الضرورة الأخلاقية هي إكراه، أي التزام. وكل فعل مؤسس عليها، يجب أن نتمثله بوصفه واجبا، وليس مجرد طريقة للفعل نرغب فيها الآن أو قد نرغب فيها مستقبلا.

إمانويل كانط، **نقد العقل العملي**، ترجمة فرانسوا بيكافي، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1960 ، ص: 84-85.

Emmanuel Kant, Critique de la raison pratique.

2-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه كانط.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن كانط يجيب عنه.

2- أبني أطروحة كانط من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب كانط عن الإشكال المطروح :أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أحكم على أطروحة كانط وقيمتها الفلسفية من خلال :

- بيان ما إذا كان مضمون هذه الأطروحة ما يزال يحتفظ براهنيته أم أصبح متجاوزا.
- بيان طبيعة الحجاج الذي تقوم عليه الأطروحة، مع إبراز ما إذا كان مقنعا من حيث تطابقه مع مبادئ العقل أو الواقع أو العلم...

3-2/ التصور الفلسفي

الواجب إلزام والتزام عقلي

يرى كانط أن الواجب الأخلاقي لا يمكن أن يصدر عن القوانين المبنية على الإكراه، وإنما هو إلزام والتزام أخلاقي مطلق نابع بالضرورة من العقل العملي، وتجسده الإرادة الخيرة الحرة التي لا تخضع لأي مبدأ خارجي أو ميولات ذاتية وإنما لتشريعات العقل فقط.

فشعورنا بالواجب إذن شعور بضرورة عقلية حرة، فكل ما يصدر عن العقل وتنفذه الإرادة الحرة واجب وأمر مطلق يجب القيام به لذاته بعيدا عن كل مصلحة فردية أو ميولات ذاتية، فالواجب بهذا المعنى التزام عقلي حر لأن قبولنا بة دليل عن إرادتنا الخيرة ما دام أنه خاضع لسلطة العقل المتعال على الرغبات والأهواء والغرائز والمنافع.

III- الموقف الفلسفي 2 : جون ماري غويو

3-1/ النص الفلسفي

الواجب والقدرة

يرتد الواجب إلى الشعور بقدرة داخلية معينة تمتاز في طبيعتها على القدرات الأخرى. فأن يشعر المرء شعورا داخليا بماهو قادر على فعله من أمر عظيم، فهذا شعور أول بما يجب عليه فعله. فالواجب من وجهة نظر الوقائع[1] وبغض النظر عن الأفكار الميتافيزيقية[2] ، إنما هو فيض من الحياة يريد أن ينصرف وأن يجود بنفسه. وقد ظنوه إلى الآن شعورا بضرورة أو ضغط، وماهو في حقيقته إلا الشعور بقدرة: إن كل قوة متجمِّعة تحدث نوعا من الضغط على الحواجز الموضوعة أمامها. وكل قدرة تنتج وحدها نوعا من الواجب متناسبا معها. إن القدرة على العمل هي واجب العمل. فإذا نظرنا إلى الكائنات المنحطة التي تكون حياتها العقلية معوقة أو مخنوقة، وجدنا الواجبات عندها قليلة. وما ذلك إلا لأن القدرات التي عندها قليلة. أما الإنسان المتحضر فواجباته لا تحصى، وما ذاك إلا لأن لديه نشاطا ثرا غنيا ينبغي إنفاقه على ألف صورة وصورة. وهكذا فإن الواجب الأخلاقي، من وجهة النظر الطبيعية هذه التي ليس فيها شيء غيبي، يرتد إلى القانون الطبيعي الشامل: إن الحياة لا تستطيع أن تبقى بدون أن تنتشر. فمن المستحيل على امرئ أن يصل إلى غايته على وجه التأكيد حين لا تكون له قدرة على تجاوز هذه الغاية. فإذا قيل إن الأنا غاية نفسها، قلنا فهذا نفسه يجعلها غير قادرة على أن تكفي نفسها بنفسها. إن النبتة لا تستطيع أن تمتنع عن الازدهار. وقد يكون ازدهارها موتا لها. ولكن لا ضير. إن النسغ ما ينفك يصعد. والطبيعة لا تنظر أبدا إلى وراء حتى ترى ما تدع، بل تمضي في طريقها، أبدا قدما... وأبدا صعدا...

جون ماري غويو، **الأخلاق بلا إلزام ولا جزاء**، ترجمة سامي الدروبي، دار الفكر العربي، بدون تاريخ، ص: 104-105.

2-3/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه غويو.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن غويو يجيب عنه.

2- أبني أطروحة غويو من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب غويو عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

3-3/ التصور الفلسفي

الواجب التزام كشعور داخلي يرتبط بالقدرة على الفعل.

يحاول غويو إعادة الاعتبار إلى الميولات الطبيعية للحياة وقوانينها، فالواجب في تصوره يرتد إلى شعور داخلي بالقدرة على الفعل، فعندما يمتلك الإنسان هذه القدرة، فإنه يندفع بميوله إلى القيام بالواجب بعفوية وتلقائية وليس تحت الإلزام أو خوفا من العقاب، فالواجبات لم تنشأ من الإكراه وإنما هو فيض من الحياة يريد أن يتدفق.

إنه قدرة الإنسان على القيام بما يمكنه ويستطيع القيام به في حدود طاقته التي تزيد وتنقص، فتنتج هذه القدرة نوعا من الواجب متناسبا معها، فمن المستحيل على المرء أن يصل إلى غايته حين لا تكون له قدرة على تجاوز هذه الغاية، مما يجعلها نسبية غير مطلقة.

IV- الموقف الفلسفي 3 : إميل دوركهايم

1-4/ النص الفلسفي

الواجب ليس فقط إلزاما بل هو محط رغبة أيضا

إ.دوركهايم

يتفق دوركهايم مع كانط في أن الواجب الأخلاقي يتسم أساسًا بكونه إلزامًا، لكنه يعالج الفكرة من منظور اجتماعي يربط الواجب بما هو مرغوب في القيام به. ففي نظر دوركهايم لا يوجد فعل يمكن أن يقوم به الإنسان فقط بسبب كونه واجبًا، إذ لا يمكنه غض الطرف عن نتائج الفعل وعما يشجع على القيام به. كل واجب أخلاقي هو إلزام ولكنه في الوقت نفسه استجابة لما هو مرغوب فيه. فالخير والواجب متداخلان من الطرفين.

«إننا لا نستطيع أن نقوم بعمل ما فقط لأنه مطلوب منا القيام به أو لأننا مأمورون به. من المستحيل نفسيا أن نسعى نحو تحقيق هدف نكون فاترين تجاهه ولا يبدو لنا خيّرًا وجيدًا، ولا يحرك حساسيتنا. هكذا يتعين أن تكون الغاية الأخلاقية التي نسعى إليها مرغوبا فيها بجانب كونها إلزامًا أخلاقيًا. فالصفة الأولى للفعل الأخلاقي هي الإلزام لكن صفته الثانية الملازمة هي كونه محط رغبة.

إلا أن صفة المرغوبية هاته الخاصة بالحياة الأخلاقية ترتبط بصفة الإلزامية فهي تشبه مرغوبية الأشياء والموضوعات التي تتعلق بها رغباتنا العادية في الحياة اليومية. فنحن نرغب في الفعل الذي تأمر به قاعدة معيارية بطريقة خاصة. إن نزوعنا وأملنا في القيام به لا يتم دون عناء ودون مجهود. وحتى عندما ننجز فعلاً أخلاقيًا بنوع من الحماس فنحن نشعر وكأننا خرجنا من ذواتنا، وبأننا سيطرنا على أنفسنا، وبأننا نرتفع إلى مستوى فوق كينونتنا الطبيعية، فإنجاز هذا الفعل لا يحدث دون توتر، ودون نوع من الإكراه الداخلي الذي نمارسه على أنفسنا. إن لدينا وعيًا بأننا عند إنجاز الفعل الأخلاقي، نمارس نوعًا من العنف على جزء من طبيعتنا.

وهكذا يتعين علينا أن نقبل بقسط من أخلاق اللذة التي تقبل التداخل بين اللذة والمرغوبية داخل الإلزام الأخلاقي وهو ما يجعلنا نمارس الواجب وفق القاعدة الأخلاقية المطلوبة منا بنوع من الرضى والإغراء. إننا نشعر بنوع من اللذة التي لا مثيل لها عند ممارستنا للواجب، بسبب أنه واجب. إن هناك نوعًا من التداخل بين الواجب والخير واللذة في كل الحياة الأخلاقية.

إن الواجب، أي الأمر الأخلاقي الكنطي القطعي ليس إذن إلا مظهرًا مجردًا من مظاهر الواقع الأخلاقي. وهذا الواقع الأخلاقي يبين لنا أن هناك تآنيًا مستمرًا بين مظهرين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر. إذن لم يكن هناك أبدًا فعل أخلاقي تم القيام به بشكل خالص على أنه واجب ؛ بل يكون من الضروري دومًا أن يظهر هذا الفعل على أنه جيد ومستحسن بشكل ما. وعلى العكس من ذلك يبدو أنه لا توجد موضوعات مرغوب فيها بشكل خالص، لأنها تتطلب دومًا قدرا من المجهود الشخصي».

Durkheim, *Sociologie et philosophie*, Paris, Alcan, 1924, p. 64-65. in C. de Rabaudy et B. Rolland, Sophia, Recueil de textes philosophiques, Paris Hatier, 1972, pp. 350-351. (ترجمة فريق التأليف)

2-4/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه دوركهايم.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن دوركهايم يجيب عنه.

2- أبني أطروحة دوركهايم من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب دوركهايم عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

4- أناقش أطروحة صاحب النص من خلال :

- المقارنة مع أطروحة كانط وأطروحة غويو.
- طبيعة الحجج المعتمدة في النصوص الثلاثة مع بيان نقط التشابه والاختلاف.

3-4/ التصور الفلسفي

الواجب إكراه جمعي

يؤكد دوركهايم على أن الواجب الأخلاقي واجب جمعي إلزامي يفرض على جميع أفراد المجتمع بوصفه إكراها، لأنه يتضمن صفة الأوامر الآتية من سلطة الضمير الجمعي، فمؤسسات التنشئة الإجتماعية لها أهمية قصوى في ترسيخ الواجبات ضمانا لإستقرار أمن الجماعة وسعادة أفرادها.

لكن بالرغم من الطابعي الإكراهي للواجب الأخلاقي، فأن دوركهايم لاينفي دور الرغبة في إتيانه، فكل واجب إلزام لكنه في نفس الوقت استجابة لما هو مرغوب فيه، فالمقبل على الزواج مثلا مطالب بتنظيم طقوس الحفل بطريقة معينة مفروضة على المجتمع، لكن الفاعل يتفاعل مع هذا الدور بحيث يصبح في امتثاله شيء من الرضا واللذة والمنفعة، مما يعني أن الواجب قائم على صفتين : الإلزام والملازمة.

V- تركيب

التفكير في موضوع الأخلاق لا يستقيم إلى بالوقوف عند قضية الواجب، والتي تعتبر قضية فلسفية بامتياز، من حيث الإشكالات التي تثيرها والنقاشات التي تفتحها.

وقد كشف لنا الاشتغال على قضية الواجب كيف أن الواجب أمر جدل، خاصة حين يتعلق الأمر بعلاقته بالإكراه والحرية ومصدره وأساسه.

ويمكن أن نخلص في الأخير إلى كون الواجب يرتبط من جهة بقدرة الفرد وعقله وطبيعته، وهو ما يجعله واجبا حرا، ويجعله التزاما شخصيا في صورته الأولى، لكنه يرتبط من جهة أخرى بالضرورات والإكراهات، سواء كانت نفسية أو اجتماعية، وهو ما يجعل الواجب إكراها وإلزاما في صورته الثانية.